
أمسيات
الغابة
(قصص قصيرة)

أمسيات الغابة

قصص قصيرة



يناير ٢٠١٨
www.yemenarchive.com

صورة الغلاف: فؤاد الجعدي
الهوية البصرية لأرشيف اليمن: أنس عباس
الخط الطباعي "سناح": سلطان محمد
sultanfonts.com



ارشيف الثقافة اليمنية على الإنترنت

أرشيف اليمن مشروع ثقافي غير ربحي اسس في فبراير 2017 بواسطة لؤي أمين لتوثيق النتاج الثقافي اليمني وتوفير منصة نشر إلكترونية للأعمال اليمنية.

كتاب أرشيف اليمن مبادرة لدعم الكتاب اليمنيين الشباب لنشر أعمالهم بشكل إلكتروني في كتب مصممة ومراجعة بواسطة أرشيف اليمن.

الموقع الإلكتروني:
www.yemenarchive.com

مزيد من المعلومات ولدعم العمل التواصل على البريد الإلكتروني:
loay@yemenarchive.com

تطبيق أرشيف اليمن على أجهزة أندرويد:
bitly.com/yemenarchive

مشروع المعجم اليمني:
yemenarchive.com/moajm

وصلتنا القصص التالية في تحدي ديسمبر 2017 للقصة القصيرة الذي أعلن عنه على صفحات أرشيف اليمن على منصات التواصل الإجتماعي.

أشواك
حرب وجنون
عزلة
ألوان دنيا
بكاء السماء
كوميديا الغفران

أمسيات الغابة قصص قصيرة



أشواك

رامي سمير

«.. اليوم ألحِقُ جسدي بروح ماتت داخلي منذ زمن طويل..»

بدأ الكتابة وما لبث حتى ارتعشت يداه بعنف شديد، قام من على كرسيه باتجاه منضدة غرفته لعل هدوءًا يعتري روحه المنكسرة وجسده المنهار، لم تعد قدماه قادرتين على حمله فانهار على سريره مفترشا الألم و المرارة.
مضى من عمره ٣٦ عاماً، ولكنه لا يرى الا يوماً واحداً لا نهاية له، نفق مظلم لا نور في نهايته، حاول تجميع شتات نفسه ليكمل الكتابة، ولكن سرعان ما مضى شريط الذكريات يكيله بالضربات، لم يمضِ أسبوع على ابرامهِ «صفقة العمر» كما كان يسميها وهو يداعب أطراف ثوب حلم رافقه منذ كان في العاشرة.
لم يكن خالد كالبقية، أعطه أي شيء، وسيجد طريقة لجني الأرباح من بيعه، برز كمشروع رجل أعمال مستقبلي لامع، مستقبلٌ أبصره كل مدرسيه، أحب تلك النشوة التي تعتريه عند تحقيق ربح من بيع ما تطاله يداه، وسرعان ما بدأت يداه تطال مالا تطاله الايادي الأخرى، بدأ منذ الثانوية يبيع المخدرات والحشيش وأنواع متنوعة من الحبوب والادوية ذات الاعراض الجانبية «المرغوبة»، كان بائعا محترفاً، يعرف متى يبيع وكيف يبيع، يدير عمليات غسل لدخله المتواضع، ويعمل بعدة وظائف لتوفير اعذار ملائمة تسمح له بالتلصص من منزله في أي وقت، عض أنامله بكل قوته وبدأ بالصراخ، سالت الدماء، وامتلأ فمه بالدم، علا صراخهُ وعويلهُ
تلك الذكريات اللعينة.. تلك الأيام التي وضعنا فيها اقدامنا على الحافة ولم نبالي بالحفرة القابعة أمامنا.. فلم نستيقظ الا على وقع سقوطنا فيها...

«..الحياة تمنحك شراشفاً آن اتساخك.. ولكن مالا يعرفه الكثيرون ان الحياة لن تعطيك الشراشف سوى تلك المرة، لن تتولى الحياة تدليل أحد، ولن تتولى أمر أحد، عند دخولنا في ممر الحياة نجد تلك الشراشف في المدخل، شراشف صالحة لاستعمال مرة واحدة فقط.

أصبحت أرى نهاية الممر.. لا شراشف ستنقذني الان..»

تلطخت الورقة بقطرات من دم أصابعه، واختلطت بدموعه المتساقطة، يريد ان يتابع الكتابة ولكن قواه خارت، حاول النهوض من الكرسي فانهار على الأرض غارقا بين الدماء و الدموع..

توالت عليه الذكريات، انهمرت كالمطر, بكل قطرة ذكرى المُ وحموضة لاذعة تذيب الجلد و اللحم وتفسخ العظم، وتترسب في قاع روح مقطعة من الداخل بأشواك، تتطاول الاشواك وتتطاول، ما تلبث ان تنوب كل ما كان، تنمو مع العروض و تمزق من الداخل، كلما مددت يدك «لبضاعتك»، كلما حركت يديك مفاوضاً زبونك حول السعر ونوعية و جودة «البضاعة»، كلما اشعلت بها حشيشك، تنمو وتتزحلق بين عروقك ودمائك وأحشائك محدثة فيك جروحاً لا تشفى، وثقوباً لا تملأ الا بأشواك أخرى...

تذكر يوم ترك منزله قائلا أنه مسافر للمدينة «برحلة عمل» ذرفت امه الدموع داعيةً لابنها بالبركة وسعة الرزق، رفض مال ابيه بأدب ومقبلا إياه على رأسه قائلا بأنه سيتولى امره.. لم يعلم ابواه انهما يريان ما تبقى من خالد للمرة الأخيرة، لم يكن له حاجة لترك ابويه لكنه أراد قطع نفسه من أي رابط، ليغرس نفسه و يتجذر اكثر في عالم المخدرات، لم يعلم انه في ذلك الحين نمت اول شجيرة اشواك في قاع روحه، لم يمضي شهر حتى أصبح يجني اكثر من مجموع دخل افراد حارته في ٥ سنوات بيوم واحد، ما أن بدأت الجيوب بالامتلاء حتى بدأت الروح بالتصحر، أصبح ما تبقى من خالد غريبا عن جسده، كيان أخرى استولى على تلك البقايا و على ذاك الجسد..

«.. كنت في حالة بين الوعي واللاوعي، امضي بين الناس وابيع واشتري واكل واضاجع وانام بدون أي معالم تسور سلوكي، وبدون أي طرقات معمدة الى اهداف تستحق العيش لأجلها، كلما جلست مع نفسي ولو للحظات، أرى الضياع الذي انا فيه، تتسرب اليَ ظلمة ما حولي وتبتلع ما تبقى من نور داخلي، لم استطع مواجهة هذا الظلام.. هذا الألم..هذه الحقيقة المرة.. كلنا سواء.. نحن السجن و المسجونون و السجانون.. حاولت الهرب من هذه الظلمات بالمخدرات والشراب، فكنت لا اكاد اصحى حتى اطيح بنفسي مجدداً في سكرة تغلب سابقتها، جف وتعفن ما فيَ، لم استطع أن احب، لم أجد هدفا لمحبتي

او لكراهيتي، تساوت الأشياء عندي، ضللت اقضي حاجاتي الجنسية بأكثر الطرق جنونا و انحرافا، كل يوم فتيات جدد، وجوه جدد، حيوات جديدة ننهشها ولا نترك منها حتى العظام، لم اعد اراعى احداً او شيئاً، لم اكتفي بالفتيات فحسب، وصلت الاشواك لمكامن رغباتي و نزواتي و شهواتي، اتقلب بين عوالم الظلام و الفساد و العفن.. لم يبقى لي القليل لأصل للقاع...»

لم يعد يتحمل....

سقط في القاع، واختنق بالغبار المنقشع أثر السقوط، لم يعد هنالك ما يصلح ما حصل، لم يعد هنالك طريقٌ للوراء، لم يعد هنالك أي طريق..

في ظل نوبة عنيفة من الصراخ والبكاء، يغيب عن وعيه للحظات و يفيق بمزيد من الصراخ، لازالت أصابعه تنزف، ضرب بقبضتيه على الأرض بقوة شديدة وأخذ نفساً بطيئاً وشديد الثقل، كابد قدميه حتى استطاع الوقوف، عاد للجلوس على كرسيه، نظر الى النافذة التي توارب سريره، سطوع شمس الظهيرة أعاد اليه ذلك اليوم، يوم جمعة أسود....

«...كنت امضي الى شقتي في ظهيرة جمعة، كان الناس يتجارون الى المساجد على عجل، الأطفال يرتدون اثواب الصلاة، بألوانها المتنوعة، استرق كلمات من حديث ودي بين مجموعة من المسنين، ما أجمل عفوية ابتساماتهم! ألحظ مجموعة من الشبان يتسالمون ويتضاحكون وكأن لا هم لهم في هذا العالم اللعين. اتعجب من ملاحظتي لأشياء عادية، وتكاد لا تطال اهتمام أحد، هكذا نحن.. نتمسك بعظائم الأمور مهملين صغارها.. جهلنا يوهمنا ان العظائم تحمل في طياتها ما يحمل معنى حياتنا... كم هم بؤساء!...

هي عينها تلك الأمور الضئيلة.. هي التي تتولى تذكيرنا اننا احياء.. و تمهد لنا طريقاً لنصل الى اعماقنا.. ونفهم انفسنا.

أحس بعينيه تنفصلان عن جسده، وكأنهما تمردتا عليه.. لم يعد يرى شيئا
تبعهما العقل, وتلتها جميع حواسه، جسده لم يعد يستجيب
ما بقي منه الا الأشواك.

توقف عن الكتابة، لم يعد في رأسه أي شيء، أحس ببعض الطمأنينة، لم يعلم مفعول الورقة و القلم واثرهما، لم يعد هناك سوى خطوة أخيرة.. نهاية الممر
أصلح من جلسته، فتش الادراج على مضض، وصل الى الدرج الثالث، أخرج مسدسا وضعه أمامه.. نظره الى هذا الشيء المعدني الذي على كاهله رمى مهمة تخليصه من هذا العذاب.
تناوله بيديه اليمنى، لم يتسنى لعينيه ان تستريحا حتى بدأ في النحيب مجدداً
وضع الفوهة في فمه.. استكان للمذاق المعدني الشاذ للمسدس
تقاطرت الدموع.. سالت على فوهة المسدس
لم يغمض عينيه.. أراد ان يرى النهاية بكل تفاصيلها..
ضغط على الزناد..
اختلطت الدموع بالدماء، سقط الجسد و المسدس..
لم يخلد خالد.. ولكن خلدت الاشواك..

أمسيات الغابة قصص قصيرة



حرب وجنون

لمياء المعيني

أن تُولد في اليمن يعني أن يكون الموت هو شاغلك الأول و الأخير.. تستيقظ صباحك على صوت أزيز الطائرات، الذي يكاد لا يفارق آذاننا حتى في لحظات عدم تحليقها..
ربما في عالم آخر قد يعاني شخص ما هناك من تكرار أغنية سيئة في عقله لدرجة تجعله يمر بيوم عصيب يملئه بالغضب و الشتائم.. فما بالك أن تمضي أعواماً و صوت أزيز طائرات و انفجارات هو ما يملئ عقلك !.
نستيقظ و نحن نفكر فيما إذا كانت قد تصيبنا رصاصة بندقية لا نعلم مصدرها أو ربما و هذا شائع هذه الأيام قذيفة قد تسقط بجانبك لتقذف بك إلى العالم الآخر بطريقة أسرع ! ..

ربما لن تكون قصتي هذه مختلفة عن قصص الآخرين هنا و لا أسوأ منها بالتأكيد، لن تكون أكثر من مجرد كوميديا محزنة ستضحككم ربما و أنتم تذرفون بعضاً من الدموع لأجلي، دموعاً ستمسحونها بأطراف أكمامكم المتسخة لتطوى بعدها حكايتي في طي النسيان و كأني لم أكن، لكن مايميز قصتي هي أنها صادقة، يقال أن الموتى و المجانين لا يكذبون، لا أعلم حقيقة إن كنتُ ميتاً أو مجنوناً، لكن ما أعلمه هو أن كليهما يجعلني أؤكد لكم بأني صادق تماماً.

حدث ذلك في أواخر ٢٠١٥، مازلتُ أتذكر ذاك اليوم جيداً، حينها كنتُ أسير في حينا في أحد شوارع صنعاء.. أترنح متعباً، هارباً من الجوع، من صوت القذائف و من نفسي أيضاً.
كان أبناء الحي مجتمعين في منزل «العاقل» للمقيل منزل كبير بثلاثة أدوار و طيرمانة من الياجور، عاقل حارتنا الخمسيني و الذي أستطيع أن أقسم لكم بأنه يصحو منتصف الليل كل يوم ليقف في يديّ الله ليناجيه بصوت صادق ببحة حزينة تكاد تظن أنه قد ينفجر باكياً في أي لحظة ليدعوه بأن تطول الحرب لكل تلك النعم التي وهبته إياها.
و مع صوت كل انفجار جديد كانت تعلو معه أصوات أبناء الحي و الذي اختفى أغلبهم في جبهات الحرب كلاً يقذف بالسباب و الشتائم و اللعنات لطرف أو لآخر، ينتمون لأحزابهم و طوائفهم و كلاً له زعيمه الذي يمنحه ولائه و حبه، يشغلون وقتهم

بالتحليلات و التوقعات، ربما أفيون القات يمنحهم خيالات و طاقة تدفعهم لإستمرار النقاش بحماسة مفرطة ليخيل لك عندما تراهم و كأنهم لجنة أممية ستعمل على وضع حلول عاجلة لوقف الحرب !.. كنتُ أستمع لهم و أنا أقف بجانب الباب، يرمقني أحدهم من حين لآخر بنظرات مزرية، أدرك حينها بأنه لم يعد مرحب بي بينهم منذ أصبحت «مجنون الحارة»، أغادرهم عائداً للتسكع من زقاق لآخر و من شارع لآخر.

تراودني و تعلو بداخل رأسي أفكار شيطانية عن الموت و خيالاته، أفكر في احتمالية أن تنفجر أحد هذه القذائف بجانبي، هل حقاً ستكون لحظة الموت سريعة كما نظن جميعنا، ربما الأمر في حقيقته مختلف عن مانعتقد..
حسناً! ربما لو أن هنالك انفجار في الحي قد يدفعني قوته لأن أحلق عالياً لأسقط بعدها على الأرض على بعد أمتار، ربما قد تكون تلك اللحظات أطول مما نتخيل لدرجة أن نشعر بكل جزء يتفجر بداخلنا و يتمزق منّا، حينها قد ترافقك ضحكاتك الساخرة لهذه النهاية، ضحكات ستكون ممزوجة بعيون مملوءة بالدموع و الأوساخ و الدماء.
تضحك من أنك ستنتهي بتلك الطريقة.. جثة ممددة على الرصيف بجانب أكوام هائلة من القمامة و هنا لم أتمالك نفسي حتى أنفجرت ضاحكاً بمجرد أن تخيلت رائحة الدماء المختلطة برائحة القمامة.

أفكر في لو أنه حدث و أن عشت لحظة كهذه، فيما إذا كنتُ حينها سأتذكر شخصاً ما، حلم ما سأرغب بالتمسك بالحياة لأجله، لا أتمالك نفسي حتى أعود لأنفجر ضاحكاً مع نظرات المارة من حولي و تهامس بكلمات يصلني منها الحديث عن جنوني بسبب ضحكي لأدرك أني طوال حياتي لم أملك إلا حياة مملوءة بالخيبات و الأسى.

تزوجتُ في منتصف عشرينياتي من امرأة تصغرني بسبعة أعوام، كانت كباقي النساء هنا هزيلة، ضئيلة الحجم و مطيعة.. عشت معها سنوات جيدة كانت تتميز بأنها لطالما امتلكت عقلاً مختلفاً عن الأخريات عوضت به حرمانها من التعليم، بالنسبة لي أنهيتُ تعليمي الجامعي لأجد نفسي أعمل في أعمال مختلفة مرة بنشري و تارة عامل بناء و أخرى بائع متجول على عربة مازلتُ أدين بقيمتها.

أعود لتخيل باقي سيناريو موتي من الإنفجار ربما الآن سأكون قد فقدتُ الرؤية من المحتمل أن عينيّ طارتا من مكانهما.. أضحك من السعادة سيكون من الأفضل لو حصل ذلك بالتأكيد لن تكون لي رغبة في إنهاء هذا السيناريو برؤيتي لتلك الجثث الملقاة من حولي.
أتذكر أبنائي الأربعة، بالواقع لم أعد أتذكر أشكالهم جيداً، أنجبنا سبعة أطفال ثلاثة منهم ماتوا في شهورهم الأولى، في كل مرة أتذكر أني بكيتُ موتهم أنفجر ضاحكاً من نفسي، أتمنى الآن لو أن الأربعة الأخرين ماتوا كذلك لا أعتقد أنهم سيلومونني على هذا فبالتأكيد كان ليكون ذلك أفضل للجميع، ربما لو أنني سأمنح فرصة لحياة أخرى كنتُ لأخبر زوجتي بأني لا أرغب في الحصول على أطفال، لا! بالحقيقة ما كنتُ لأتزوج أساساً.

ربما الآن كنتُ لأكون اصطدمتُ بالأرض لا أعلم إن كنتُ سأكون حينها ميتاً أو حياً، فقط سأكون جثة لرجل في أواخر ثلاثينياته بجمجمة مشقوقة و جسد ممزق ملطخ بالدماء، يقال أن الإنسان عند موته ربما قد يدرك بأنه مات بعد لحظات من موته أقهقه ضاحكاً :منذ متى و كنّا أحياء و نحن نعيش على أرض الموت هذه ..أرض السعيدة أقصد_ !..

أتذكر سنواتي الأخيرة عندما أصبحتُ أسمى «بمجنون الحارة» كنتُ أستيقظ مع بداية النهار لأبدأ رحلة التسكع في الحي أبحث عن من سيتفضل عليّ بالطعام اليوم، كانت الأمهات في الحي تحذر أطفالها من الإقتراب مني.. الملاعين يجب أن أكون أنا الحذر من الإقتراب منهم، أطفال أشبه بعفاريت.
كنت أمضي يومي مطلقاً الشتائم و السباب على كل شئ حولي.. العالم، كل من حولي و على نفسي أيضاً، ساخراً من الجميع، من نفسي و من الكون بأسره، أرفع اصبعي الوسطى لأستفزهم ليبدأ الأطفال بإلقاء الحجارة عليّ، أنفجر ضاحكاً هارباً منهم و من حجارهم.

لنعد للحظة الإنفجار أضحك بشدة مع تخيل أن إحدى قدميّ قد تُقذف للشارع المقابل، ربما قد يجدها أحدهم ليركلها بطرف قدمه متقززاً ليبعدها عن وسط الطريق.. على هذه الحال سأدفن بنصف جسد، أفكر كيف ستكون ردة فعل الملاك السائل من رؤيته لجسدي بمنظري هذا قد يفزع لدرجة قد يدفعني لأن أضحك مجدداً ربما سيسألني أسئلة مثل «أنت شبابك و مالك بما أفنيته» حينها ستراودني رغبة بالقهقهة بصوت عالي من هذا السؤال سأصرخ به ضاحكاً «هيي أنت ألم تسمع أنني ولدت في اليمن أي شباب و أي مال هو هذا الذي تتحدث عنه» سأنصحه بأن يعدّ أسئلة أخرى خاصة بنا نحن الموتى في اليمن ربما عن عدد المرات الذي حصلنا فيها على المال لشراء الخبز و الماء ! آه من هذه اللحظة كم سأضحك عندما ستحدث ربما سيضحك معي حينها كل الموتى في المقبرة.

و أنا أتخيل هذا الحوار كنتُ أضحك بصوت عالي، لأجد امرأتان تنظران لي بريبة و تتهامسان حول جنوني، في الحقيقة قبل أن أسمى بمجنون الحارة كان يطلق عليّ أصدقائي من شبان الحي «بحمامة» ربما لأني كنتُ حينها أشبه ما أكون بحمامة سلام، الشاب الأكثر «قبيّلة» و شهامة في الحي، أساعد الأطفال و أحترم النساء، كنتُ أتأفف من أصدقائي و أتجنب مشاركتهم نكاتهم البذيئة حول النساء و من هنا بدأوا يتمازحون بينهم بتسميتي حمامة ! ..
أصدقائي هؤلاء هم ذاتهم الذي كنّا نجتمع سوية لنتشارك ربطة القات الواحدة و نتشارك أحلامنا،مشاكلنا و همومنا و هم ذاتهم الذين يجتمعون مع عاقل الحارة لمناقشته في ضرورة إخراجي من الحي لما أسببه من فزع بمظهري و خطري على الأطفال و النساء.. الملاعين يتهمونني بالجنون و فوق هذا يرغبون في إخراجي من من حارتي.

أتذكر ميلادي الخامس و العشرين كان أول عام بعد زواجي، أخبر زوجتي بأني دائماً ما كنتُ أفكر بأني سأصنع شيئاً ذا قيمة في حياتي.. أرى حالي الآن لأنفجر ضاحكاً من نفسي و من سذاجتي.
حينها كانت تسعى لمواساتي لتخبرني بأن لكلاً منّا إنجازاته الخاصة و أننا فقط بحاجة

لأن نرى بوضوح حتى نجدها..
أعود لأغرق في ضحكي، ممتعضة مني تواصل حديثها : ...ثم إنه لمن الرائع أن تعيش في اليمن و تصل للخامسة و العشرين من عمرك و لا ينتهي بك الحال إلى مصحة نفسية، تواصل بحماس :إنه إنجازاً بحد ذاته يا عزيزي !.
زوجتي هذه هي ذاتها التي أرسلت لي والدها و إخوتها طلباً للطلاق لتتركني حتى لا تحمل عار أن تصبح زوجة «مجنون الحارة» ..
أدرك تماماً بأن هذا العالم هش و مريع، فقط بحاجة لدفعة بسيطة ليظهر لنا بشاعته و صورته الحقيقية و يخبرنا بأن الإنسانية التى نتغنى بها ليست سوى وهم زائف !.

مازال القصف مستمر، يعلو صوته أكثر أعود أدراجي نحو الحي بعد أن أبتعدت حتى آخر الشارع، أتجه نحو بيت العاقل، أقرر الدخول و عدم الإكتراث لأياً منهم ..
صوت قذيفة تهوي على أحد المنازل واحداً منها بالتحديد ذاك ذي الثلاثة أدوار و طيرمانة الياجور تصمت معها كل الأصوات الذي بداخله للأبد.
تدفعني قوة الإنفجار لأحلق و ابدأ الرحلة !..



عُزلة

مريم القحطاني

وحدك، ولا رفيق لك غير نجوم مشنوقة في عرض ليل حالك، وهسيس الأفاعي الرابضة أحياناً والزاحفة أحياناً أخرى تحت فراشك المهترىء.. «هسسسس» تشق قطرات عرقٍ صدرك بينما قلبك يروح بكَ ويجيء دون أن تتحرك من مكانك إذ تحدق في رأس شبح واقف أمامك بلا وجه. صوت الجدجُدِ المتنامي يرفع أنفاسك ويهبط بها – عيناك شاخصتان. أنت لستَ في قبرٍ بالتأكيد، ولا في كابوس. أنت في بيتك، وبيتك هذا عبارة عن أطلال بيت ضارب في صميم الماضي والقِدم. نصفه الأسفل ليس إلا «سِفِلْ» ترتع فيه الأبقار والجواميس والخيول التي كانت ورحلت مع كل ما رحل، ولم تخلف وراءها غير الأقذار والبراغيث والسواد وحطام ما كان.

يحتل منزلك ـ أو بالأصح آثار بيت جدك الأول ـ بقعة غير استراتيجية لا تحسد عليها، في منطقة مبتورة تسمى «العُزلة» تعتلي سفح حيدٍ جاسر، تناثرت بيوتٌ أخرى على عاتقه بشكل عشوائي منحدر.

يخترق الصفير الحاد وأصوات الميكرفون بشكلٍ مفاجيء مسامعك وجدران الصمت التي تلف «العزلة» يتبعها أذان الفجر المثخن بخوف القرية وحزن مبهم لا تدرك كنهه، «اللّٰهُ أكبر اللّٰهُ أكبر» لتنبشك من وسط رعبك الذي أحدثه الهسيس المنتظم والرأس الصامت، وتقذفك إلى رعب أكثر إبهاما: «هل يعقل أن يتواجد هذا الكم من الطاقة بينما العزلة يلوكها الجوع والنسيان؟» تتساءل في نفسك.

« قوموا صلوا، قوموا صلوا!» يطلقها المؤذن بلهجة آمرة لم يسلم منها الحقد، بعد أن يقوم بتعديل وطرق «الميكرفون» بإصبعه الجافة ليؤكد لك أن البطارية ما زالت جديدة، وأن المذياع من خيرات التكنولوجيا التي لم تتعرف عليها إلا من أفواه السياح والأجانب عندما يطلبون منك بحركات غريبة أن تقف على صخرة وتبتسم للكاميرا والتي تنفجر أشعةً شمسية في وجهك، كل هذا لتصبح صورة ثابتة يطوف حولها أناس لا تعرفهم ولا يعرفونك.

ينتابك إحساسٌ غريب بالخيانة، إذ كيف لهذا الجهاز أن يتوفر بـ «بطاريات» في قرية

خرجت من اللاشيء إلى اللاشيء؟ كيف لهذا التناقض أن يكون وأنت تصبح وتمسي ببطن خاوية؟

تخرج. نعم، تتجرأ على الخروج والمشي على أرضية هشة، مفخخة بالقرف والقرف أيضاً، وتوجه وجهك صوب المسجد! لستَ متأكداً ما إذا كنت تتذكر موقع المسجد، والذي هو عبارة عن ركن من ضريح لولي يدعى «مِغفران» تناجيه النساء في أوقات الشدة واليأس، خاصة الطاعنات في السن منهن، ويبتهل إليه الرجال في أوقات القحط والكسوف.

تدك الأرض بخطواتك العسكرية الصغيرة الثابتة ـ رغم علمك المسبق أن الطريق تطول وتطول وتنقطع في بعض الأحيان بمجرد خيانة خطوة واحدة لك ـ وتسير رغماً عن الحجارة والأشواك والمطبات، في تحدٍ بالغ لكل الحفر والإنزلاقات، معلقاً ناظريك على ما يشبه الشمعة من بعيد لتضمن وصولك إلى ضريح الولي الصالح «مِغفران»، أو كما يسميه أهل القرية «الولي».

إذا اقتربت الشمعة البعيدة منك فأنت في الطريق الصحيح، هكذا تواصل المسير، ربما لتنفض شيئاً من اليُتم عنك.

في «الولي» أناس يعرفون الله، كالحاج حسن. ستشعر بالدفء معهم لا شك، وسيصيبك صوت الشيخ، وهو يتلو القرآن، بالأمان.

ـ استقيموا يرحمكم الله..!

لا تدخل. تتوقف تماماً عند الباب...فأنت مأخوذ بهيبة النور الذي يكتظ به المكان! تقول في نفسك: وكأن الشمس تنام هنا. الضريح شامخٌ في الزاوية، تلفه هالة عجيبة، ينعم بدفء الشموع المحيطة به بشكل مرتب ودائم، مصبوغ بالـ«جص» ومدثر بالسجاد الأندلسي المطرز الذي تحتار في كيفية وصوله إلى هذه الأرض المهجورة المقطوعة

التي تضيع فيها يومياً رغم أنها كل ما تعرف. يعود الفضل في ذلك إلى الحاج حسن، وهو رجل على عتبات الخمسين، يتمتع بوجه أسمر وسيم، وكأنه أحد أقرباء عُمر الشريف، يتسرب من ثنايا معطفه الواسع دفءٌ أبويٌ لذيذ. له لحية مهذبة بيضاء ناعمة، وعينين مثقلتين تهملان المحيط وتسهران على راحة الضريح العتيق.

تأخذك قدماك شيئاً فشيئاً إلى الداخل حيث يسحبهما الدفء، ورائحة الكاذي المعززة بالفُل. تجد نفسك تقف في صفٍ قصيرٍ حيث يستقيم أناس تعرفهم بالفطرة:

« أبو تحفة» الحاج الطيب الذي تراه كل يوم وتحدثه وتعطيه إسمك لينساك في الخمس الدقائق القادمة. «سلكح» الذي تكرهه أكثر من أي شيء في الوجود. «بعليل» الذي لا يأتي إلا ليرضى عنه أبوه ويزوجه. «قاسم» الذي كان عقيداً ذات يوم فأطاح به العجز وخذلته الوساطات. «سرورالأعمى» قيل أن الجن أخذت بصره ولم تعد به لأنه كان يعشق كتابة الشعر فوق القلاع وحده، و «أمين الفقيه» المجنون إثر انتحار زوجته أو قتله لها، من يدري فالقصة حول هذا تطول، ورجال هامشيون آخرون تراهم في «الولي»، يعرفون اسمك واسم أبيك ـ وأمك أحياناًـ ولا تعرف أسماءهم.

«إنت ولد الصوفي؟»

يباشرونك بهذا السؤال عندما تقترب منهم وهم في حالة ركود كلامي على الأزقة المنحدرة، يهشون الذباب ويدفعون سهام الشمس الحارقة بخرقة بالية، فتصبح أنت بمثابة «الغواث» الذي يأتي قبل «التخزينة» المقدسة في ملكوت ديوان القات المجيد. تجيب وقد انتابك شيء من الغرور البريء وغمرت طفولتك رجولة دافقة: «أيوه، أنا ابن الصوفي!»

لا يتحدثون معك أو حولك لأن أبوك وزير الداخلية الذي لا يشق له غبار، مثلاً، بل لأنه مجرد مغترب. المغتربون عندهم هم تلك الطبقة الإقطاعية عند الأوروبيين أيام ما قبل الثورة الصناعية. حتى وإن كان هذا المغترب مجرد إنسان فاشل، أو منحرف، المهم

أنه يعيش بعيداً عن هنا، حيث النقود والعمل أو العمل والنقود، هذا يكفي لجعله رجلاً مهماً.

«الحمد للّه رب العالمين الرحمن الرحيم................ولا الضالين»

يصيح المصلون ـ والذي لا يتعدى عددهم أصابع اليد ـ في نعاس بصوتٍ مقطع «آميـ نـ آآآآ يــ يـ نــنّ». يركعون بينما أنت مستقيم، ليس من فعل النعاس بل لأن منظرهم يشعرك بأنك أطول قامة منهم. وتبقى على حالك حتى «اللّهُ أكبر، سمع اللّه لمن حمده» وتسجد قبلهم، يلحقونك واحداً تلو الاخر، فتشعر بالقيادة. ويستمر الحال على هذه الشاكله حتى «السلام عليكم ورحمة اللّه، السلامُ عليكم و رحمة اللّه.»

يستغفرون لثوانٍ معدودة، ويحمدون اللّه ويطلبون رضاه في يومهم الجديد، ثم ينصرفون إلى مآرب أخرى، عدا الشيخ الذي ينسى اسمك، فقد سبح للّه حتى أحاق به النوم، والحاج حسن، يسبح ويسبح وأنت تنتظر في الخلف كالتلميذ النجيب، تراقب في هدوء شفته السفلى الممتلئة وهي تعد الحروف الناحلة، وأصابعه المنبسطة الجافة وهي تمر من بين حبات السبحة برفقٍ وخفة.

يلتفت إليك ليشعرك بأن وجودك محل إدراك، ويرمي لك بإبتسامة مضيئة، ثم يطلب منك أن تجلب له الكوز المجاور لك. تتقدم إليه حاملاً الكوز برشاقة نعجة، وأنت تتمعن في عينيه أكثر وأكثر. لم تكن تعرف من قبل أن رجلاً بهذه الوسامة والطيبة بإمكانه أن يتواجد في أرضٍ كهذه.

ـ ليش إنت وحدك هانا؟ وين أخوك؟

ـ أخي في صنعاء

ـ ليش في صنعاء؟

ـ سار يشوف أمي

ـ أمك في صنعاء؟

ـ لا أمي.....مدري وينيه، بس مش في صنعاء.

يعلق الحاج حسن في همّ هازاً رأسه، مع أن الأمر لا يعنيه فلم تكن يوماً ذا قرابة:» خير، خير»...

رغم أن كل واحدٍ من هؤلاء التعساء قد استنزفته الحياة وأخذت منه أكثر مما أعطت إلا أنه مستعدٌ لأن يقدم لك شيئاً من إهتمامه وعونه. لم تتصحر قولبهم رغم كل هذا القحط الذي يأكل الشعاب.

تواصل مراقبة عينيه، ويواصل هو إطراقه وصمته.

تشعر بشيء من الحيرة والألم: «هل أنا حزينٌ وبائس إلى هذا الحد»؟ يجذبك سؤال الشيخ العارض:

ـ تشتي ماء؟

ـ لا.

ـ مش انت ظامي؟

ـ لا.

ـ أحسن. لا نقعشي كلنا ظاميين

**

سِفِلْ: اسطبل أو زريبة

الغواث: الوجبة الخفيفة

ظامي: ظمآن

أحسن، لا نقعشي كلنا ظاميين: أفضل، كي لا نصبح جميعاً عطشى

أمسيات الغابة قصص قصيرة



ألوانُ دُنيا

أسماء اليافعي

لمحته بعد أيامٍ طوال قضتها ترقُبُه من نافذةِ غرفتها، كان الظلامُ دامسًا كعادة الليل في مُدُنِ الحرب..

ارتدت على عجل خمارًا بلونِ البنفسج وركضت على بقايا الدرج أمام منزلِ عمها،تخطو تارةً وتقفزُ أخرى متجهةً لمنزله.

أدخلتها أخته «دُرّه» بإبتسامةٍ مُنهكه: «إنّه بالداخل يغتسل،طلب منّي توضيب بعض الحاجيّات وأمي ذهبت لتعجن...هه لا أعلم ما الذي ستوقدُه لإنضاجِ الخبز أساسًا.

ابتسمت لها «دُنيا» مومِأةً و نظراتها شريده تبحث عنه، تنتظر ظهوره..

وضعت خمارها جانبًا و أطلقت تنهيدة عَبَر الممر مرتديًا البنطال و قطرات الماء تُبلل بشرته الخمريه...

مغطيًّا رأسه بالمنشفةِ مُدندِنًا: «يا منقوش يا مخضوب، ساهر لك تواسيني»

لمحها

وقف متسمِّرًا في مكانه مجوّلًا بصره علّه يجد قميصًا

أدارت ظهرها..

–ما الذي أتى بِكِ ؟!

–لا أعلم، أخبرني أنت... – قالتها بتجهُّم

–و«انا أيضًا»....لا أعلم ولا أريدُ أن أعلم و يبدو أنّكِ لا تريدين أن تعلمي أنّي ما عدتُ انا، فقط اطوي الصفحات و أمضي، الحب كالحياة بالنسبةِ لنا، ترفٌ لا نستحقه ولا نستطيعه..

–لكن... لم آتِ لِأجلك،أتيتُ لأجلي افتقدتُ ملامحك.

–ما رأيُكِ أن تفقديها للأبدِ إذن و تبتعدي؟!

–(تُكابِرُ دموعها)..لستَ سوى حقير لا أعلم لِمَ أحبَبتُك في الأصل..

–أوه، حسنًا لا أعتقِدُ أنّكِ أعظم منّي يا قصيره....قالها ثم أشاح نظره سريعًا و بلع ريقه مُستدرِكًا..

على الرغم من سوء جملتِهِ هذه إلّا أنّها لم تنتبه لغير شدِّةِ إضطرابِ نبضها بقولِهِ «قصيره»

قاطعهما صوت ينادي من الخارج: « بدر...بدر...يابدر»

أسرَع ليُلبّي صاحب النداءِ الوَجِل، بينما هي أغمضت عينيها مُستندةً على الحائط

السماوي..ذلك الذي دهنه منذ قُرابةِ السنتين بعد مُشادّةٍ بينه وبين دُرّه بخصوص اللون ثُمَّ كان لإختيار «دُنيا» الغَلَبه،كيف يُمكن لقلبٍ حمل لي كل هذا الحُب أن يحمِل أكثر منه جفاء؟!

ما الذي فعلته يا اللّه لِأستحق منه هذا؟...

أتُراها الحرب؟! ما أن تدخل الـ «راء» بين حرفي الحب،يدخل البُغض قلوب الرجال ليُزيحوا كل وعدٍ، ذكرى، ضحكه، سهر...

يا اللّه سوف أموت كمدًا من التفكير، حسنًا سنموت على أيّ حال فـ الموت أمسى ضيفًا ثقيل الدم على مدينتنا التي تُكرمه بأجود أبنائها..

يتمٌ ثالث يا بدر؟! لم أتصوّر أن أذوق اليتم مجددًا بعد أن فقدتُ والديّ..

يدخل مُسرِعًا

دُرّه و أمها يسألنه لم العجله؟!

–انتظر قليلًا بُني، الطعام شارف على النُضج

–أخي مهلًا لم أُكمل حزم حاجيّاتك

يبتسم كأبرأ إبتسامه قد تشاهدها يومًا على وجه طفلٍ: – أمّا انا فقد وجدتُ ما جئتُ إليه

قبّل رأس أُمِّه قُبلةً طويله كأنما يملأ رئتيه من عبقِ الحِنّاء في شعرها..

ينظر لأخته بحنو، مالت ع كتفه لتُقبِّله و تمسح دموعها بِكُمِّه قبل أن يلحظها..

يمشي على مهلٍ بعيدًا عنهما

أُمّه و أخته تتظاهران بالإنشغال

يخطو بمحاذاتها.. يتجاوزها، تشهق.. تُسمّر عينيها على الأرض بحقد وقد اعتلى وجهها لونًا قرمزيًّا شاحب..

عاد مُقابِلًا وجهها وعاضًّا شفته السفلى كعادته حين يعاندها،مستمتعًا برؤيتها بهذا المنظرِ الطفوليّ تمتم : «يافتنتي البردُ يؤذيكِ ماتفعلين هنا.. عودي فلن أعود انا»

وداعُ أعيُنٍ و قلوب، ثُمّ اختفى في الظلام...

حملقت في صورته المُعلقةِ على الجدار بجانب صور أسرته، لِم فجأةً أصبحت أجمل و تستميل الرحمةَ أكثر؟!

التفتت لِأُمه، لِأخته، للساعه

يجب أن أعود للمنزل حالًا

طفقت تبحث عن خمارها

بذاتِ الإبتسامة المُنهكةِ ناولتها دُرّه خمارًا أسودا: أنّى لكِ أن تجديه على ضوء شمعةٍ واحده؟!

صباحًا سيكون عندكِ، سأجده وأرسله

-معكِ حق، لا يليقُ بنا سوى إتشاح الأسود هذه الفترة...كمدينتنا.

بقيت ليلتها مُشاطِرةً السهر ذكرياتٍ بغيضه، ليس لإن هذه الذكريات سيئه، بل لِأنّها تُباغتها بشكلٍ غبي وتوقيتها لا يُحتمل..

كانت ليلةً ماطره..

بالسماء و بِفكرِها

لم يكن المطر جميلًا كما اعتادتهُ بل لم يَعُد شيء كذلك من حولِها

بدت الشمس...

الآن نرى بقايا المطرِ الرماديّ بعد الإكتفاء بسماع هطوله طيلة ليلةٍ ظلماء..

تُحملِق من مكانها أمام نافذةِ غرفتها، لا أحد في الحيّ سوى مجموعةٍ آتيه من بعيد والضجيج حولهم..

يقترب ضجيجهم،

يبحث الجميع عن سببِ هذا الضجيج ومصدره،

نظراتُ ترقُّبِ النساء وركض الأطفال وكبار السن بإتجاه تلك الجماعه يؤكدان أنهم أتوا بألمٍ جديد...ومودّعٍ قديم...

يصلون إليهم، يكملون معهم مسيرهم نحو البيوت، يبدأن النسوه بالعويل...

هاهي دُنيا ترقب عدد الشهداء هذه المرّه: شهيد،اثنين،ثلاثة شُهداء....تشهق الرابع كانت إصابةُ كَتِفِهِ مربوطةً بخمارٍ بنفسجيّ.

بكاء السماء

فصل أخير في حرب اليمن

الأثوري محمد

هذا ما حصل يا أميرتي الجميلة، وحتى الآن لا تزال الحرب مشتعلةٌ في كل مكان! قالت المرأة.

تعز: تذكرت الآن عندما هجموا على المدينة، وبداءوا بإطلاق الرصاص والمدافع والصواريخ من كل الجهات، كانت تتطاير أشلاء الرجال والنساء والأطفال في الشوارع والبيوت والصراخ يملىء المدينة.!

عندما أطلقتِ استغاثتك التاريخية، المرأة مقاطعة تعز، استيقظ ضمير الأمم المحبة للسلام، وتداعى الملوك والرؤساء والقادة العرب، وكلفت بإنقاذك وحمايتك من ذلك الشيطان مهما كان الثمن!

تعز: عليكِ وعليهم اللعنة، لماذا لم تستيقظوا من قبل؟

في الحقيقة، لقد كنا جميعاً في ما يشبه الغيبوبة قبل صرختك، ولم نكن ندرك الخطر الذي سيلحقنا فيما لو سقطتي وتملكك ذلك الشيطان!

تعز: إذاً أنتم لم تأتوا من أجل إنقاذنا، بل لإزالة الخطر الذي يهددكم، أليس كذلك؟

ليس بهذا المعنى الأناني المؤلم، كما قلت لك سابقاً، مهمتي الأولي تقتضي إنقاذك وحمايتك من الأذى حتى تستردين عافيتك، ومهمتي الثانية مع مجموعة العمل تقتضي ضرب ذلك الشيطان وتدمير كل أشكال الخطر الذي يهددكم ويهددنا بها أينما وجد.!

تعز: والأبرياء من الناس الذين يسقطون ضحايا دون ذنب؟

أميرتي الجميلة، لكل شيء ثمن، وثمن أمننا جميعاً وحريتك وعودتك إلى المكان الذي يليق بك، ثمنه الدماء من جميع الأطراف، بما فيهم نحن فقد سقط الكثير منا، ولا زلنا

مستعدين لتقديم الكثير والكثير، حتى تحقيق النصر الكامل، أرجوك أميرتي الصغيرة الجميلة، ساعديني كي تكلل مهمتي بالنجاح؟

تعز: قلتي في معرض حديثك إنكِ ضمن مجموعة اعمل، هل لي أن أعرف مع من تعملين؟
أجل أجل ستعرفين، استريحي الآن لا تجهدي نفسك كثيراً، لتلتئم جراحك بسرعة، لابد أن تهدئي، تناولي هذا الدواء؟

تعز: لم تعرفيني بإسمك بعد؟

أنا إسمي «عاصفة» حارسك الخاص يا أميرتي!

تعز(ساخرة): عاصفه..!! إسمٌ يليق بك. من يشاهدك على هذا النحو لا أظن أن أقدامه تستطيع حمله!

عاصفة تدير وجهها غضباً!

تعز(بسخرية): ألا يوجد لديك شريك ضمن مجموعة العمل،إسمه إعصار..؟

عاصفة: بلى، وهو في طريقه الينا، وقد وصاني عليك كثيراً!

تعز: ماذا!؟

نعم، وسيمكث عندنا بعضٌ من الوقت يا أميرتي الصغيرة؟

تعز: يا الله أعطيني الصبر على هذا البلاء..

بعد صمت، اصدقيني القول يا عاصفة، أحقاً تحبينني؟

أجل يا أميرتي إلى درجة أن أضحي بحياتي من أجلك!

تعز: لماذا؟

لا أدري، في البداية كان واجب، تحول بعدها إلى شعور جميل جداً، لعله إرتباطي إلى جوارك طيلة هذه الفترة، يا أميرتي.

تعز: دعينا من الرسميات الآن ولنكن أصدقاء.!

بكل سرور يا حبيبتي.!

تعز(مبتسمة): ألكي حبيب في دياركم ياعاصفة؟

عاصفة تشيح بوجهها خجلاً.

تعز: يوجد أليس كذلك؟

نعم يوجد!

تعز(تحدث نفسها يابنت الذين): حسناً، أهو بإنتظارك؟

إذا لم تنجح مهمتي لن يكون هناك إنتظار!
تعز: ستنجحين ستنجحين لا عليك، أخبريني يا عاصفه ماذا حل بحراستي وأهلي وأصدقائي وقومي، بعد «أيام الألم» تلك؟

يكفي اليوم ياحبيبتي، إنكِ متعبه سنتحدث غداً عن هذا الأمر خذي هذا التمر وهذا الدواء ونامي؟

تعز: أشعر بالجوع، أريد أن آكل الطعام؟

ليس بعد لا زلت غير قادرة على هضم الطعام نتيجة للإصابات التي تعرضت لها يا حبيبتي، هيا أفتحي فمك ممتاز، نامي الآن، سأوقظك عند الظهيرة للغداء؟

يمضي الوقت بتسارع وتتوسط الشمس كبد السماء

عاصفة (بقلق، تحدث نفسها) ماذا أقول لها إذا عاودت السؤال، هل أقول لها الحقيقة هل ستتحمل الألم، لا، لا لن أقول لها الحقيقة هي ستعرفها بالتدريج رويداً رويداً سيكون عندها القدرة على تحمل الألم أجل هو ذاك، ولكن إذا عرفت إننى اخفيت عنها الحقيقة ستغضب وقد أفقد ثقتها كلياً. [ساعدني يارب]، قالتها بصوت مرتفع!

تعز: أتحدثين أحداً يا عاصفة؟

لا، لا ليس هنا أحداً غيرنا ياحبيبتي.!

تعز: ولكنني سمعتك كما لو كنت تتحدثين لأحدا.!

كنت ادعو ربي ليساعدنا فيما نحن فيه، لا عليك ياحبيبتي!

تعز: أريد أن أستحم يا عاصفة

حتى أنا يا حبيبتي أريد ذلك؟
تعز: ألا يوجد لدينا ماء؟

لدينا عشرين لتر في القربة التي إلى جوارك!

تعز: هل نحن محاصرون ياعاصفة؟

ليس بالضبط، ولكن الخطر لا زال كبيراً في الخارج ومع ذلك أستطيع أن أأمن لك الماء قريباً. (لماذا تأخر ياربي؟)

تعز: قلتي شيئا؟

عفواً، يا حبيبتي لا لم أقصد!

تعز: هناك شي تخفينه عني اصدقيني القول ماذا حل بالمدينة، ولماذا نحن هنا بهذه المغارة الموحشة، وأين الحراس و..؟

(عاصفة مقاطعاً تعز) أقصرت عليك في شيء ياحبيبتي، ألا تريني كفؤاً لحراستك، إنني لا أعرف النوم منذ أن دخلت هذه المغارة (تبحث عن مخرج) أهكذا تكافئون الأصدقاء..؟

تعز: أنا آسفه يا صديقتي، لم أقصد أجرحك، أو التقليل من قدرك، أعذريني أرجوك؟

(عاصفة مبتسمة) بشرط أن لا تعيدي على مسامعي «حراسي» مرة ثانية، تستطيعين أن تحملي هذا في يدٍ واحدة!

تعز (مبتسمة): موافقة، من لديه صديقةٌ مثلك لا يحتاج للسلاح ولا للحراسة أيضاً!

إهي، هيا إنهضي رويداً رويداً، أنظري ماذا حضرت لك اليوم؟

تعز: سمك؟ سردين؟ يا اللّه من أين أتيت به؟

هيا هيا إنهضي لا تكثري الكلام؟

تعز: أيش عرفك إنني احب السمك..؟

ألست بصديقتك..؟

تعز: بلى، ولكن فترة وجودك إلى جواري لاتمكنك من معرفة خصوصياتي..؟

أعرف عنك الكثير والكثير، هيا أفتحي فمك، هيا كلي، يجب أن تنهضي بسرعة أمامنا مهمات كثيرة يجب أن ننجزها.

تعز: أستطيع أن أنهض وأقف على قدمي، لقد فعلتها وأنت تحدث نفسك!

حسناً، هيا أكملي الأكل وسأمسك بك لتمشي إلى باب المغارة وتعودي.

حاضر.!

هاتي يدك، سأمسك بك لتمشي قليلاً، على مهلك على مهلك لاتستعجلي الخطى......... عظيم.... عظيم !

تعز: اللّه ما أحلى وألذ الشمس، دعينا نتقدم إلى تلك الصخرة، أريد أن أستلقي عليها قليلاً ياعاصفة.
حسناً، لكن لا تطلبي أبعد من ذلك.

تعز: موافقه.!

هيا إذاً تقدمي على مهلك على...... إنتظري؟ ماذا هناك يا عاصفة؟ _ إنني أسمع صوت أسد!

أسد يامجنونه في هذا المكان الأجدب؟

أمكثي هنا ريثما امسح المنطقه، اااه وجدتك أيها السافل؟

تعز: ماذا وجدتي ياعاصفة؟

الأسد ياحبيبتي هو ذاك واقعٌ بين الصخور.؟

تعز: مسرعاً إلى عاصفه قائلاً ياالله كم هو ضخم، مضيفاً أهو مييت..؟

لا، لقد علقت رجله بين الصخرتين، أنا ساقترب منه لأتأكد، أنت لا تقتربي.
اااه إنها أنثى أسد حامل على وشك الوضع.!
تعز: هل ستعيش لتوضع.؟

لقد مر عليها فترة في هذا الفخ، وربما لا تستطيع أن تفعلها بسبب الجوع والعطش، كما وأن قدمها قد أنسلخت من مكانها.!

تعز: أرجوك ياعاصفه، ساعديها لتعيش وتضع اولادها أنا ساذهب لآتيها بالماء؟

إنتظري ي......!

تعز تتجه الى المغاره وتأتي بقربة الماء،تحت ذهول عاصفه!

أيتها الشقيه، لو كنت أعرف أن الأسود، سيساعدو في شفائك لكنت أحضرتلك قطيعاً منهم إلى المغاره؟ مضيفاً حسناً إفرضي حلينا مشكلة عطشها كيف سنحل مشكلة جوعها.. أنطعمها واحدةٌ منا يا تعز؟

تعز (هامسةٌ): عاااصفه -نعم- عندما وصلتي إلي وأنقذتيني من بين النيران، هل كان القتلى كلهم مدنيين؟ ألا يوجد بينهم من يلبس الزي العسكري؟

لا، لم أجد احداً حولك يلبس الزي العسكري، ربما في مكان آخر، ولكن لم هذا السؤال؟

تعز: ناوليني سلاحك، لقد وجدت طعامٌ لصديقتنا.

[تلتفت عاصفة الى اليسار ترى طقم عسكري يقترب وعليه أفراد عسكريين]

إذهبي وخذي الذي في المغاره، فهو مناسب لك، حان وقت العمل ياحبيبتي هيا.

تعز: حاضر.......هاا أنا جاهزه!

علينا أن نحصل على السيارة يا تعز، أنا سأتولى أمر السائق والذي جواره، وأنت عليك الأفراد الذي بالخلف اتفقنا؟
تعز: اتفقنا.!

عندما أطلق الرصاص أنت تتبعيني

تعز: مفهوم ياقائدتي.

الطقم يتقدم حتى صار على مقربة ٢٠٠ متر، يتوقف بمكان مكشوف، ينزل الذي جوار السائق يصرخ بالأفراد هيا أرجموبهن هانا.

عاصفة تطلق الرصاصة الأولي على السائق مخترقتاً الزجاج، لتستقر بين عينيه وتنفذ من مؤخرة رأسه، وفي أقل من الثانية تطيح بالآخر!
تعز تطلق الرصاصة الأولى فتصيب أعلاء الركبه، الآخر يفر راكضاً يناد بكلمات لا تفهم لم تمهله عاصفه حتى صرعته بطلقة في الرأس. قائلة لتعز، إنتظري هنا لآت بالسيارة، تتقدم واضع سلاحها صوب رأس الجريح!

-الجريح، أرجوك لا تقتليني

أنا لم اقتلهن، أنا عامل نظافه معهم أنا..!

إخرس توجه له لكمةٌ على فمه بعقب البندقية أفقدته الوعي، تنظر إلى الأكياس، عليكم اللعنة ياسفلة. تلقي بالأكياس إلى الحفرة تفتش في جيوب المقتولين، محدثة نفسها الحمد لله هذا ما كنت أبغاه، تقذف بجثث الجنود إلى الحفرة، وتلقي بالجريح المغمى عليه إلى الصندوق، وتشغل السيارة عائدة، وفجأةٌ تقفز من السيارة مذعورةٌ صارخة تععععععز تعععععععز، ااااااااه!

كوميديا الغفران

محمد عطبوش

بوق سيارة مرتفع يهرول سريعاً نحوي، ثم.. صمتٌ مطبق... فجأة يتسرب إلى سمعي صراخ امرأة في الشارع، أحدهم يركض كالبطريق بكرشه العملاق لينتشل جثتي..

هل انتهى كل شيء؟! بلمحة بصر، ميتة باردة ليست على حبل مشنقة، ولا في ساحة إعدام، ولا اغتيال يليق بي!

أحدهم جاء يركض من بعيد حاملاً حقيبةً وبعض الأوراق، توقف بجانبي يلهث.

سألته

- من أنت؟

نظر إلي بنصف عين معاتباً:

- ألم تعرفني، «عزرائيل»، يبدو أنني تأخرت، أعتذر تعطلت ساعتي، هل نبدأ؟

- ولكن لا تبدو كما نسمع عنك، أراك لطيف ومرتبك بعض الشيء، لا بأس سأكون متعاوناً، لكن بسرعة.

-لا، آه، أكيد، أنا، أنا لست بذلك السوء، هذه لقمة عيشي وانا مضطر، حسناً استرخ ياصديقي.. أتعلم، قبل أن آتِ إليك كنت عند فلاح فقير، كانت امرأته بجانبه، وأولاده ينظرون و..

- آآح، على رسلك.

- آسف، أخرج الهواء من رئتك اليمنى...

- هاااه.

- ترددت كثيراً عند إخراج روح ذلك الفلاح، كان ينظر إل ي و..

- هششش، ملاكٌ أن ت أم حلاق، اِنهِ عملك بسرعة وبصمت لو سمحت، فأصابع هذا السمين تدغدغني. أخشى أن أضحك أمام الجميع..

سرعان ما انزلقت كالصابونة على مزلاج الإسعاف، تجمع المسعفون حولي، ثم ابتعدوا لإنعاشي بصدمة كهربائية، هوبا، هذه المرة ظهرت ابتسامتي، لا بأس سيضنونها بتأثير الصدمة.

«لا فائدة» قالها الطبيب ورحل.

غطوني بملاءة بيضاء، ليست بيضاء تماماً لكنها تفي بالغرض.

بقيت وحيداً أنا وحارس المشفى حتى منتصف الليل، لا تظهر من هيأتي تحت الملاءة

سوى قدماي وأنفي المنتصب. مرت ساعات لم يقطعها سوى فرقعة الحارس ببعض الريح، فلا أحد يسمعه، أو هكذا يظن، رائحتها فضيعة.

سمع الحارس وقع أقدام الممرضة وأسرع لتهوية المكان ورش بعض العطر، هذا جيد، كنت سأتصرف بنفسي لو لم يفعل ذلك.

جلست الممرضة بجانبه، تبادلا بعض الهمس، يبدوان أكثر من زملاء، نعم كما توقعت هههه يالكما من مشاغبين. لم يكن أنفي منتصباً لوحده حينها.

بعد دقائق، حضر الطبيب ونظر إلي بعدم اكتراث، طلب من الممرضة بعض الأوراق، خربش عليها، فتش قميصي وجيب سروالي، أخرج بطاقتي الشخصية وفتش هاتفي، اللعنة نسيته مفتوحاً، سيقرأ الرسائل ويرى الصور.. لا يهم فأنا ميتٌ الآن. أكمل إجراءاته الروتينية، ثم أمر الحارس بنقلي للثلاجة..

دقائق من الدحرجة، ثم توقف، صوت باب الثلاجة الثقيل يفتح، تششش، الكثير من البخار، ورائحة تشبه رائحة الدجاج المجمد يردد الحارس، «هذا هو»، يحشرني فيه ويعيد «b٢٩.. b٢٩» المزلاج، ثم يقفل باب الثلاجة.

شعرت بألفة في ثلاجة الموتى مع هذه الجثث. أحدهم بادرني:

- أهلاً، لدينا زائر اليوم.. بالسرطان، أم قتيل؟
- بل حادث مروري.
- لا بأس.
- وأنت؟
- دعك مني، هل سمعت ال حراس يتحدثون عن موعد دفننا، وقد تأخرنا
- لا.
- أوف، لم أعد احتمل (أحدهم يتذمر من الرف العلوي)
- لا عليك، ستدفن حالما يجدون رأسك (يجيبه زميله)
- سألته، أين رأسك؟!
- فقدته في مصنع المعلبات، ورفض والدي دفني قبل إخراجه.
- أخبرتك أنه سحِق، رأيته بأم عيني (يؤكد أحدهم)
- كيف عرفت ذلك؟! (استفسرت منه)
- كنا نتشاجر بجانب الآلات قبل أن يقطع راسي، ويسقط هو بجانبه.

- ههههه نلتما جزاءكما العادل.

بدأت أشعر بالبرد حقاً، أصابعي ترتعش، اللعنة، يعاملوننا كالدجاج فعلاً، أظن معاملتي للدجاج أكثر رحمة، ليلة واحدة في الثلاجة ثم تتحول إلى عشاء لذيذ.

وهذه البطاقة المعلقة على إبهام قدمي، كم تستفزني، للمقبرة سأذهب أم سأعرض على «أمازون» !

بعد ساعة، عاد الحارس.. حبسنا أنفاسنا، تخطى الجميع، توقف عند جثتي، سحبني بسرعة وأنطلق، لم أجد فرصة لتوديع زملائي...

أنزلني، سلمني إلى المغسل، ورحل. صوت ارتطام جسدي المتجمد على رخام المغسلة كالمطرقة، عراني وشرع
بتسخين الماء.

ينفث المغسل فيها دخان سيجارته على مدخل المغسلة، قبل أن يبدأ بصب المياه الدافئة علي..

احححح، كأني في غرفة تدليك صينية، لم أجرب هذا الشعور حياً، فلاتستمتع به ميتاً، لم يستغرق وقتاً طويلا، كنت قد اغتسلت للتو، فخور بنظافتي أمامه.

«هات الكفن يا محمد» نادى المغسل على مساعده، ثم وضعوني بشكل جانبي وبدأوا بلفي، سمعت أن الكفن هو الثوب الوحيد «السادة» لن تجد به أي شيء غير الخيطان، لكني لمحت فيه ملصق Made In China اللعنة على China ترافقنا حتى إلى قبورنا.

«خذوه على المجنز، سنصلي عليه الفجر». أدخلوني جامع المدينة، زياراتي السابقة له -على قلتها- كنت واقفاً فيها، هذا المرة دخلته مستلقياً.

سأل الإمام: «ذكر أم أنثى»، أجابوه ثم وضعوني عن يمينه
بانتظار الصلاة..

«ما هذا يا أبي» طفل في الصف الأول يسأل والده، «هذا ميت، لو لم تلتفت يميناً وشمالاً قبل عبور الشارع، ستصبح مثله»،

ههههه لا تصدقه يا صغيري، فأنا ملتزم بهذه النصيحة منذ سنوات، وها أنا ذا أمامك مثل «ساندويتش شاورما»، بجانبي شيخ كبير يقرأ عل ي بعض الآيات، حاولت الإنصات له...تبت يداك، لم تجد غير سورة المسد تقرأها علي.

«استووا، الصلاة على الميت الحاضر، ذكر» قالها الإمام، واصطف الجميع، صلوا

علي، ثم شيعوني إلى المقبرة، لا أحد يعرفني هنا، لكنهم شيعوني طمعاً في القيراط والقيراطين، ثم أتحمل أنا الحساب، لا أحد يسأل نفسه من أين توزع القراريط على الحضور، تخصم من حساب الميت طبعاً.

أنزلوني إلى قبري رويداً رويدا.

أدرجوني في اللحد، ونادوا باللبِنات، أحكموها علي حتى لا أهرب، وكأن ضيق هذا اللحد لا يكفيهم، لم يوفروا مساحةً، لملائكة الحساب، فضلاً عن أخذ راحتي بعين الإعتبار.

حثوا علي التراب بسرعة فائقة، حاسبوا القبار، ورحلوا..

حسناً ماذا بعد في هذا اليوم الطويل، أين ملائكة الحساب، أين روضة الجنة أو حفرة النيران، ما بهم؟! هل تأخر عزرائيل في رفع الكشف؟!

أوه! كيف نسيت ذلك، اليوم هو الجمعة وهم في إجازة، تذكرت ذلك الحديث الضعيف عن نجاة موتى يوم الجمعة، لم يكن ضعيفاً جداً، لقد نجوت إذن.

والآن كم سنة سأنتظر حتى قيام الساعة، ما هذا الملل، ألا يسأم الموتى...صحيح، أين هم؟ هيي !، هل من أحد هنا، أنا جديد بينكم..

– هش أيقظتني يا ولد (صوت فتاة عن يميني)

– اختلاط في المقبرة؟! (صرخت بأعلى صوتي) ما هذا؟! لماذا، إذن يسأل الإمام أذكرٌ أم أنثى؟

– دعك من شكليات الأحياء، لا حاجة لنا بها، هل سمعت عن ميت يضاجع في المقبرة؟!

– لا لا، يجب تخصيص قسم للنساء، هذا ما أعتدنا عليه.

– دعنا من عاداتكم البغيضة، أنت ميت لأول مرة، كل شيء

جديد هنا، بالمناسبة، حديث نجاة موتى الجمعة غير صحيح، الدوام في الجمعة مساءً، هذا كل ما في الأمر.. استعد.

– آه حقاً، لا مشكلة، أنا مستعد..

– بالتوفيق.

***

في المساء، وصل منكر ونكير..

– هي! أنت، انهض (ينكزني منكر بطرف جناحه)

– آه، أعتذر، سرقتني عيناي.

- عن أي عينان تتحدث، أصبحتا كحساء الباذنجان هههه.
- دعنا لا نضيع الوقت لدينا قائمة طويلة اليوم. (يقول منكر) يااابن آدم.
- يا نعم.
- اسكت، يجب ألا تنطق بغير الإجابات.
- هذه ضرورات العمل.. تعلم ذلك. يوضح نكير)
- من ربك؟
- هاه، هاه، لا أدري.
- تعني..
- هههه أمزح أمزح، ربي اللّٰه.
- ما دينك؟
- مسلم سني المذهب، شافعي في الفقه، أشعري في العقي..
- يكفي يكفي، يمكنك أن تختار بين «مسلم» أو «كافر» فقط.
- من نبيك؟
- محمد.
- (منكر وهو ي دون الإجابة): اممم، سالب أربع درجات، لم تقل صلى اللّٰه عليه وسلم.
- (يقاطعه نكير) بل سالب خمس درجات، صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم.
- (منكر يغمز نكير بيده ويلتفت إلي): احم، لا عليك هذه خلافات سنحلها بيننا. ما كتابك؟
- القرآن الكريم
- اقرأ لنا شيئاً منه، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.
-...... صدق اللّٰه العظيم.
- جيد، بقية الأسئلة ليست مهمة، يمكنك العودة للنوم. (يختم التقرير بإمضائه)
- لحظة، نسيت أن نريه مقعده في الجحيم (يستدرك نكير)
- في الجحيم...؟!
- نعم، وجدنا اسم ك مع أصحاب الشمال (قالها منكر وهو يقل بكشف الأسماء)

– تمهل، ربما يقصد أنني أعسر.

– نفهم عملنا أكثر منك، هل ستأتي لتعلمنا بعد خبرة ٦ ألف سنة ؟!

– أعتذر، لكن أريد معرفة السبب.

– ستعلم ذلك يوم الحساب، تنتهي مهمتنا هنا، وداعاً.

– لماذا جعلتموني اقرأ القرآن إذن؟!..

– أحياناً يكون الطريق للجحيم محفوفاً بالآيات القرآنية!

(بعد أسبوع)

بدأ جسدي يتفسخ، سرعان ما التهمني الدود، لم يجدوا الكثير من اللحم، أيام قليلة وتحولت إلى هيكل يشبه الذي في غرفة الوسائل التعليمية. صوت ضجيج وضحك بعيداً من جهة أقدامي..

– ما هذا يا سميرة (سألت زميلتي)

– اليوم يزورنا الشجاع الأقرع، لم يعد أقرعاً، لديه شعر مستعار

– هل سيزورني أيضاً؟

– من يدري! أتمنى أ لا تفوتك هذه المتعة، هو تسليتنا الوحيدة.

انتظرت ه والضجيج يقترب أكثر فأكثر، من ميت إلى آخر، حتى وصل إلي.. بابتسامة حماسية قال لي:

– فرد جديد انضم إلينا اليوم؟!

– مر علي شهر، أنت الذي تأخرت (أجبته)

– لا عليك، سأعوضك بحركات جديدة، هل أنت مستعد للمرح؟

– هيا...

...

يالها من تجربة تحبس الأنفاس، استمتعت بها جداً، تباً لمن كانوا يخوفوننا بهذه المتعة، يخوفوننا ويحرموننا من كل متع الحياة، كان علي أن أستنتج أن الأمر ينسحب على متع الموت أيضاً..

في الأشهر التالية بدأت عظامي تتفتت وتختلط بالتراب، حتى لم يبق غير عظمة «عجب الذنب».. ثم تفتتت هي الأخرى.

في الذكرى ال ٧٧٠ لوفاتي، وفي أحد صباحاتنا المكررة، كانت هناك هزة مريبة شعر

بها الجميع، تحدث لأول مرة.

– ما هذا؟ (صرخ أحدهم)

– خرجت الدابة، الأمر لا يعنيكم حتى الآن (أجابه أحد الملائكة)

بدأت علامات الساعة الكبرى إذن، مرت السنوات سريعاً، علينا أن نستعد..

لم يستغرق الأمر أكثر من عدة أشهر حتى نزل علينا «مني الحياة» وبدأت اجسادنا بالنمو، كالنباتات تماماً، العمود الفقري، فقرة فقرة، الحوض، القفص الصدري، الرأس، الأطراف، مروراً بالكساء باللحم، وصولاً إلى تشكيل البنان.

ثم انشقت الأرض ولفظتنا، حفاةً عراةً غرلا، نار عدن تلحقنا، معلنةً عن أكبر سباق ماراثون في التاريخ، نحو الشام بدلاً عن أثينا..

وبدأ الركض..

غانا في المقدمة كالعادة، تليها كندا وأمريكا، وكروش الخليج في المؤخرة طبعاً، لا فضل لعربي على أعجمي إلا باللياقة البدنية..

وصلنا أرض المحشر، الإنس والجن والوحوش، منظر الجن هههه لا عجب أنهم مخفيون عن ا كل هذه المدة، كنا نسينا الحياة واستلقينا على قفانا من الضحك، ليتكم ترون أنوف هؤلاء المهرجين.

على «فلاشات» pdf بدأ توزيع صحائف أعمالنا في ملفات الذي تشكل لنا USB صغيرة. نسيت أن أخبركم عن منفذ مؤخراتنا، نعم، فلم نعد نحتاج للحمام.

بدأ كلٌ منا بمشاهدة عمله، نسمع أحدهم يضحك على نفسه، نتجمع حوله لمعرفة السبب، نضحك كلنا، نعود

للمشاهدة وهكذا..

أزلِفت الجنة، و سعرت الجحيم، و بدلت الأرض غير الأرضِ، والسماوات، وبرزنا جميعاً ليوم الفصل، أخيراً سأقتص من زملائي في الابتدائية، لطالما توعدتهم بهذا اليوم، لن أسامح سارق مجموعة طوابعي البريدية، وشلة أحمد الذي يوسعني ضرباً نهاية كل أسبوع..ابن عمي الذي يتهرب من إعادة القرض، سأستعيده بعملة صعبة اليوم، وسائق الحافلة الذي عجل بي إلى هذا المصير، سيكون حسابي معه استثنائي اً..

فجأة صاحت الديكة، جميع الديكة التي على الأرض، صاحت تنبيهاً بقدوم «جبريل».

صعد المنصة، تنحنح قليلاً، وبدأ:

- بدون مقدمات، سئمت تكرار الكلام..

لستم العالم الوحيد، هناك عوالم موازية كثيرة غيركم، ولكل حسابه، المهم، سيصحبكم ملاك يقضي بينكم في محكمة الحقوق الكونية، ثم تنقلون لقسم الإجابات التي أرقتكم في الدنيا، قسم الإجابات الوجودية على اليمين، من أنت، من أين جئت، إلى أين، لماذا، وكيف.

وقسم الأسئلة الدينية من الجهة الأخرى، ما معنى قروء، ما الروح، هل الحق مع علي أم معاوية، معنى ألم وكهيعص، عدد أهل الكهف، الخ..

بعد ذلك توزن أعمالكم على ميزان الكتروني، وتستلمون بطاقة خدش.. «ج» في الجنة، «ن» في النار، «ف» أهل الفترة.. أي استفسار، أي اقتراح؟

- (صمت)

- السلام عليكم. (رفرف بأجنحتهِ ودخل ثقباً أسود)

تقدم إلي ملاك، وأعطاني دفتر الشكاوي الخاص بي.

- يا إلهي، كل هذه الشكاوى ضدي! لا عجب أنني إلى الجحيم!

- لا تستعجل، ربما تنال شيئاً منهم أيضاً (طمأنني الملاك)

ودخلنا القاعة.. نور ملائكي في كل مكان، عدا ناحية المدعين.

قعدت على كرسي خشبي هزاز، وضعت على رؤوسنا خوذ كشف الكذب، وبدأت محاكمة طويلة..

هذا يشتكي وأنا أرد، أنا أدعي وذاك يصد، تومض خوذتي مرة، ومرات خوذهم تومض، وأنا وإياهم في هرج ومرج، وصولات وجولات، لم تتوقف إلا وقد فنيت جعبتي سوى من حسنة واحدة، وسيئتان، ثم رفعت الجلسة.

انتقلنا للميزان، وقفنا في طوابير، نوصل «الفلاش» بالميزان، ونسحب بطاقة الخدش من الأسفل، بالطابور، واحدٌ تلو الآخر البعض يناقش لفترات طويلة، لذلك استغرق الأمر آلاف السنين قبل أن يأتي دوري، ولكن قبل ذلك كان دور الشخص الذي أمامي، وضع «فلاشه»، وظهرت النتيجة....بقيت له حسنة واحدة لينجو من النار.. ينادي:

- تبرعوا لي بحسنة واحدة.

- (لا جواب)

فيذهب إلى الأنبياء..

– حسنة يا آدم، يا أبو البشر، اشفع لي، ألا ترى إلى ما أنا فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغني؟!

– نهيت عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي، اذهب إلى غيري، اذهب إلى نوح.

– يا نوح، يا أول الرسل، اشفع لي، ألا ترى إلى ما أنا فيه؟

– قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهب إلى إبراهيم.

– يا إبراهيم، يا خليل اللّه، حسنة، ألا ترى إلى ما أنا فيه؟

– قد كذبت، نفسي نفسي، اذهب إلى موسى.

– يا موسى يا كليم اللّه، حسنة.

– قد قتل تنفثاً، نفثي نفثي. «أجابه بلسان عجمته»

– ما لي غير محمد، يا محمد، يا خاتم الأنبياء، أشفع لي.

– واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة.

صرخ المسكين وحثا التراب على رأسهِ، وعاد لميزانه مكلوم القلب، كسير الخاطر، فعز علي مصابه، وتذكرت حديث الذي تبرع بحسنته في مثل هذا الموقف...

هل أكون هو ؟! ربما.. تقدمت أتبرع له بحسنتي.

سألني ملاك:

– ماذا تفعل؟!

– أنا لا أملك إلا حسنة واحدة، أعطيها إياه يدخل بها الجنة، وأنا داخل النار لا محالة بها وبدونها.

– تظن أنك تكسب عطفنا بهذا الموقف.. مبادرتك مرفوضة، خذ بيدِ أخيك وارحلا.

«ن» لنا نحن الاثنين، لم نلبث طويلاً حتى قدِم الزبانية بابتسامات عريضة...

كب لوني، عصبوا عيناي، واقتادوني إلى مصيري..

خطوات تتلوها خطوات، صعود، هبوط، تجاوز حواجز ونقاط تفتيش، ثم مسافة طويلة حتى انخفض صوت الضجيج.

صوت صرير باب عملاق يفتح، نبضات قلبي، تتسارع، عرقي يتصبب، وفمي جف.

مشيت خطوتين، وانطبق الباب بقوة حتى ما عادت قطعة من بدني في محلها.

أفلتت الزبانية كتفي، حلوا قيودي، ومازالت العصابة على عيني، وأنا حائر في فضاء سحيق مظلم صامت لا ملامح فيه..

حتى امتدت أياد خفية إلى راسي، حلت العصابة بسرعة و..

(صراخ جماعي مفاجئ): أهلاً بك في الجحيييييم !

تصفيق، صفير، موسيقى، قصاصاتٌ وبالوناتٌ تتطاير، واحتفالٌ مدهش..

يا إلهي، كل هذه الألوان في الجحيم !

ما الذي يحدث؟! هل أخطأ الملاك في بطاقتي ؟! فليشرح أحدكم الأمر، أرجوكم فعقلي ما عاد يستوعب شيئاً !

– أهلاً بك في الجحيم، هذه الدرجة الأولى فقط، طفولية بعض الشيء، أنا خازن النار «مالك»، تعال أعرفك على بقية الأقسام والدرجات هنا.. ولكن قبل ذلك يجب أن تغتسل وترتدي ملابس الجحيم...

الدرجة التي كنت فيها، للأطفال والمجانين، مليئة بالحلوى، والأراجيح، والحدائق العامة. أنظر.. هذه الطفلة التي تتزحلق، ابنة عمر، الموءودة، وذاك الصغير ابن صاحبة الأخدود التي رمته في النار. وهذه حديقة يلعب فيها أولاد الروم وفارس الذين قتلوا في الفتوحات. المكان كما ترى مجهز بكل احتياطات السلامة والأمان..

– ما هذا الباب؟!

– هذا باب المصعد، تعال لأهبط بك إلى الدرجة التالية..

هنا أيضاً أبناء الكفار، سواءً قتلى الحروب، أو ممن لم تصلهم الدعوة، لكن من الفئة العمرية التي تلي السابقة، نوعية التسالي تختلف بعض الشيء، لكننا نعاملهم بشكل مشابه..

تعال ننزل بضع درجات..

(بدأت تتعالى أصوات غنج، روائح مثيرة، أضواء حمراء،

وموسيقى جاز)

– هل هذا ملهىً؟

– هذه منطقة الحور العين، انتقلوا من الجنة إلى الجحيم.

– غريب! لماذا ؟!

– يطول شرح ذلك، سأتركك هنا الآن، لدي زوار جدد لأستقبلهم، مع السلامة.

ما أن تركني مالك في هذا المكان، حتى بدأ إيقاع كعب عال يقترب من الخلف..

طق، طق، طق..

بلعت ريقي بصعوبة، وببطء التفت ورائي.. فإذا بـغيداء بيضـاء، سوداء الشعر، ضربة اللحم، أسيلة
الوجه، معتدلة القوام والقد، دقيقة الأطراف والخصر، عظيمة العجز والصدر، يحار فيها الوصف، ولا يفيها الحرف، قناءٌ، فلجاء، قرناء، كحلاء، شهلاء، حوراء، ما نظر الناظرون لمثلها قط.
تتهادى صوبي..
دست نقوداً في جيبي، وأسدلت عن أحد أجفانها.
- ما هذا؟
- اتبعني يا عبدالله أما لك فينا حاجة؟!
تشاغلت عنها، بفضولي بما في بقية الدرجات من عجائب، هربت إلى المصعد وهبطت بضعة درجات، وفتح الباب...
عالمٌ لا يكاد يشبه ما سواه في شيء..
وجدت بيتهوفن وباخ على ضفة نهر يلحنان سيمفونيتهما المشتركة الجديدة،
ودافينشي يعدل ابتسامة الموناليزا بسبب عتاب سلفادور دالي المستمر عليها..
بجانبهم يلتف كلاً من محمد عبد الوهاب وبوب مارلي وعبد الحليم حافظ ومايكل جاكسون في حلقة ضحك حول تقليد تشارلي تشابلن لمشية مايكل الشهيرة..
تشاركهم السيدتان فيروز وأم كلثوم بضحكات خجولة من بعيد..
ضغط زر الهبوط مرة أخرى في المصعد، إلى الدرجة التالية، وهناك شاهدت نيوتن تحت شجرة التفاح، أصبحت لديه مزرعة تفاح كبيرة، يزورها آينشتاين نهاية كل أسبوع لإقامة سباق عدو مع ستيفن هوكينج الذي تخلى عن كرسيه المتحرك.
وفي انتظارهم داروين أمام مدفأته الذي أشعلها بجميع الصحف التي شوهت نظريته بصور القرود، وبقربهِ آديسون منهمكٌ بتجهيز الإضاءات لسهرة الأصدقاء الأسبوعية..
في الدرجة السابعة، سمعت أصوات ضحك عالية قبل أن يفتح باب المصعد، بحثت عن مصدر الصوت... ووجدته أفلاطون يحلق شارب نيتشه بعد نجاح رهانه حول عالم مثالي.
بقربهما الغزالي وابن رشد يضحكان على تهافتيهما، كان الضحك أبرز سمة هذه الدرجة، عدا هيجل الذي استمر في جدله الممل رغم محاولات أرسطو وكانط كفه عن

ذلك.

واصلت الهبوط إلى قعر جهنم، المكان هنا أكثر سكينةً وهدوء..

وجد ت فيه كلٍّ من بوذا وكونفوشيوس ولاوتزو وزرادشت وماني إلى جانب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والرومي وغاندي، يشربون الشاي الأخضر على طاولة خشبية مستديرة، وخلفهم مكتبةٌ قديمةٌ ومهجورة.

ألقيت عليهم التحية.

ردوها علي بصوت واحد، كلٌ بلغته، نظر بعضهم إلى بعض بتعجب وابتسامة. ثم عادوا إلى صمتهم.

كانت هذه نهاية جولتي في أقسام الجحيم، عدت بعدها أدراجي إلى «مالك» في الدرجة الأولى..

– أشكرك على الجولة الرائعة، لكن لدي سؤال بسيط.

– تفضل..

– أين فرعون وجنكيز خان ونيرون وستالين وماو تسي وهتلر، وأين الإعلاميين والساسة؟

– لا تسأل عن أصحاب النعيم.

– كيف.. عن أي نعيم تتحدث؟!

– نعم، تعال معي إلى المكتب، سأخبرك بالقصة..

(في مكتب مالك)

– في البداية عندما كنا نستقبل النزلاء في الجحيم، لم تكن الأمور كما تراها الآن، كانت حالهم مزرية، لم يترك شيوخ الإسلام أحداً إلا وأعطوه صك حرمان، قذف الأمم إلى الجحيم أهون عليهم من قتل بعوضة..

كل عازف ورسام، كل عالم وزعيمٌ روحي، كل داعيةِ سلام وملهم شعب، كل أديب وفيلسوف، جمعوهم كلهم وقذفوا بهم في حفرة الجحيم، ثم يعيشون هم في نعيم مقيم..

لكن هذه الحال لم تدم طويلا.

لأن «أهل النار» كانوا يحملون الجنة في قلوبهم، أفنوا دنياهم في تحقيق هذا الحلم، رغم

قِصر حياتهم.
وحين أتتهم الفرصة مجتمعين، ووجدوا من الوقت ما يكفيهم، حتى وهم في الجحيم، استطاعوا تحويلها إلى جنة لم يحلم بها «أهل الجنة» أنفسهم.
أما «أهل الجنة» هناك، فلا أراك اللّه حالهم، النار طبعٌ فيهم أصيل، أرواحهم جهنمية، لا تعرف الجنة ولن تعرفها حتى لو دخلوها، حولوها إلى جحيم كأرواحهم الخبيثة المتصارعة، ها هم أولاءِ يتلاعنون، يغتصبون حقوق بعضهم، يتحزبون، يكفرون، ويقتل بعضهم بعضا، لم تغنِ عنهم جناتهم، ولا صلواتهم شيئا.
فاضطررنا لنقل ما تبقى من متع الجنة إلى الجحيم، وجئنا بمجرمي أهل النار إليهم، ونقلنا معهم عذابهم، لينال كل ذو حق حقه، ولا يظلم ربك أحدا.
في هذه اللحظة دخل علينا ملاك، ينبهنا أن نسرع في الخروج لسماع كلمة هامة من الملأ الأعلى..

خرجنا مسرعين وقد تجمعت الخلائق على صعيد واحد، ونادى مناد:
يا أهل الجنة، فيشرئبُّ أهل الجنةِ، وينظرون
فيقول: هل تعرفون هذا؟
فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه.
ثم ينادي:
يا أهل النار،
فيشرئبون، وينظرون،
فيقول: هل تعرفون هذا؟
فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه،
فيذبح.
ثم يقول:
يا أهل الجنة
خلودٌ فلا موت،
ويا أهل النار
خلودٌ فلا موت.

ثم يقرأ:

إن الذين آمنوا

والذين هادوا والنصارى والصابئين

من آمن باللّه واليوم الآخر وعمل صالحاً

فلهم أجرهم عند ربهم

ولا خوف عليهم

ولا هم يحزنون.